مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خَزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كُلِّ شيءٍ ولكن غير مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيرَ آئسين* ومُضطَهَدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالكين* حامِلين في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتَةَ الربِّ يسوعَ لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينه على حسبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولذلك نتكلَّمُ*

باروخ النبي

تعيّد كنيستنا المقدسة اليوم للنبي باروخ ومعنى اسمه «مبارك». كان رفيقاً للنبي إرميا الذي كان يثق به كثيراً حتى انه سلّمه صك الحقل الذي اشتراه في عناتوت (ار ٣٢: ١٢–١٦)، وطلب منه أن يكتب كلام الله الذي تنبأ به ارميا في دَرْج: «فدعا إرميا باروخَ بنَ نيريًّا فكتبَ باروخُ عن فم إرميا كلَّ كلامِ الربِّ الذي كلَّمهُ به في دَرْجِ السفر» (إر ٣٦: ٤). قرأ باروخ هذا الدرج مرات أمام الشعب في الهيكل وفي آذان رؤساء اليهود (ار ٣٦:٨–١٩) فاضطربوا اضطراباً عظيماً وأشار بعضهم على باروخ أن يذهب ويختبئ هو وارميا من وجه الملك يهوياقيم الذي احتدم غيظاً ومزق السفر وألقاه في النار عند سماعه جزءاً صغيراً منه. ثم أوحي إلى ارميا أن يكتب السفر ثانية فأحضر صديقه باروخ وأملى عليه ما كان مكتوباً في السفر السابق مع بعض الزيادات.

من أبرز أعمال باروخ ذهابه إلى بابل حاملاً رسالة من النبي ارميا تنبئ بما كان مزمعاً أن يحل بتلك المدينة العظيمة من القصاص الإلهي. بعد سقوط أورشليم هرب سبط يهوذا إلى مصر وأخذوا معهم ارميا وباروخ، ومن المرجح أن باروخ رقد في مصر.

وصل إلينا ضمن أسفار العهد القديم سفر باروخ الذي يُنسب إلى باروخ النبي كما يظهر في أول آية من السفر: «هذا كلام الكتاب الذي كتبه باروخ بن نيريّا بن مَعَسْيا بن صدقيًّا بن حَسَدْيا بن حِلْقِيا في بابل» (با ١: ١). كذلك يعتقد مَن يقرأ السفر أنه كُتب في أثناء السبي إلى بابل ووُجِّه إلى الجماعة التي بقيت في أورشليم. انما في الواقع هناك عدّة فوارق بين المعلومات المقتبسة من المؤلفات والكتب المعاصرة لسقوط أورشليم والجلاء وبين ما ورد في سفر باروخ، لذلك ينتمي هذا السفر إلى أدب الأسماء المستعارة الذي اعتُمد من بعض الكتّاب الذين ينسبون كتبهم إلى أشخاص معروفين من أجل إعطائها مصداقية ووقعاً أقوى عند الناس.

سِفر باروخ هو من الأسفار القانونية الثانية، أي التي تقبلها الكنيسة ضمن قانون الكتاب المقدس. يتألف من أربعة أقسام (في خمسة

العدد ٢٠٠٨/٣٩

الأحد ٢٨ أيلول

تذكار أبينا البار خاريطُن المعترف

والقديس باروخ النبي

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

عالمينَ أنَّ الذي أقام الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معَكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثرَ النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادَ لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٥: ١–١١)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ واقفٌ عند بحيرة جَنّيسارَتْ رأى سفينتَينِ واقفتَينِ عند شاطئِ البحيرةِ وقد انحدرَ منهما الصيَّادون يَغسِلون الشباك* فدخل إحدى السفينتينِ وكانت لسمعانَ وسألهُ أن يتباعدَ قليلاً عنِ البّرِّ وجلسَ يعلّمُ الجموعَ من السفينة* ولمَّا فَرَغَ من الكلامِ قال لسمعانَ تقدَّمْ إلى العُمقِ وألقوا شباككم للصيد* فأجاب سمعانُ وقال له يا معلّمُ إنَّا قد تعِبنا الليلَ كلَّهُ ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلِمتِكَ أُلقي الشبكةَ* فلمَّا فعلوا ذلك احتازوا من السمكِ شيئاً كثيراً حتى تخرَّقَتْ شبكتُهم* فأشاروا إلى شُركائِهم في السفينةِ الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينتينِ حتى كادتا تغرقان* فلمَّا رأى ذلك

اصحاحات) يُضاف إليها في بعض الترجمات رسالة ارميا التي تكوّن الإصحاح السادس من السفر. أما الأقسام الأربعة فهي: مقدمة تاريخية (١: ١–١٤)، اعتراف بالخطايا وابتهال (١:١٥ – ٣:٨)، تأمل في الحكمة (٣:٩ – ٤:٤)، تشجيع لأورشليم (٤: ٥ – ٥:٩). تختلف هذه الأقسام من حيث اللغة اليونانية المستخدمة ومن حيث الفن الأدبي والمضمون التعليمي لذلك تُطرح عدَّة أسئلة حول وحدة السفر ككل. الأرجح أن الكتاب هو مجموعة مؤلفات جُمعت في كتاب واحد تحت اسم سفر باروخ.

تصف المقدمة التاريخية (١: ١–١٤) في أية ظروف ولأي هدف وُضع سفر باروخ. القسم الثاني مؤلّف من جزئين: اعتراف بالخطايا (١: ١٥–٢: ١٠) ثم ابتهال (٢: ١١ – ٣:٨). في جزء «الإعتراف بالخطايا»، يتوجه اليهود المسبيون بالكلام إلى اخوتهم في أورشليم، بينما في «الإبتهال» يتوجهون بالكلام مباشرة إلى الله. يظهر في جزء «الإعتراف بالخطايا» (وفي باقي الكتاب) أن هدية الله الكبرى للشعب المختار هي الشريعة، وأن طاعة الشريعة تنتج ازدهاراً بينما مخالفتها تجلب الكوارث والنفي، وأن السبيل لإصلاح العلاقة مع الله هو التوبة وتجديد الطاعة. في جزء «الإبتهال» يطلب الشعب من الله أن ينقذ إسرائيل من أجل صلاحه هو بحجة أن إسرائيل يقدّم لله التسبيح وهو شعب الله، ولعنة إسرائيل ستسبِّب إحراجاً لله «لكي تعرف الأرض بأسرها أنك أنت الرب إلهنا، أن اسمك دُعي على إسرائيل ونسله» (با ٢: ١٥). ان كان اليهود شعب الله وهو مَلِكُهم فيتوجب عليه حمايتهم لئلا يظهر إلهاً ضعيفاً أمام الأمم الأخرى.

القسم الثالث قصيدة بمثابة تأمل في الحكمة (٣: ٩ – ٤:٤). هناك تماهٍ بين الناموس الموسوي والحكمة، الأمر الذي ظهر بوضوح عند اليهود في المرحلة التي تلت السبي. في هذه القصيدة نجد شخصنة للحكمة (وكأن الحكمة أصبحت شخصاً وليس مجرد أمر غير ملموس) التي أُعطيت صفات إلهية. الحكمة هي أغلى ما يمكن امتلاكه لأنها مصدر الازدهار لكل مَن يمتلكها وبدونها يختبر المرء الكوارث فقط. لا أحد يستطيع أن يقتني الحكمة بجهده الخاص، الله وحده يهبها لمن يشاء وقد اختار أن يمنحها للشعب اليهودي حين أعطاهم الشريعة.

القسم الرابع عنوانه «تشجيع لأورشليم» (٤: ٥– ٩:٥) ويتحدث عن السبي كنتيجة لعدم طاعة ناموس موسى. كذلك تظهر فيه أورشليم كأنها شخص يكلّم يهود الشتات ويؤكد لهم أنهم بعد التوبة سيعودون بالتأكيد إليها (٤: ١٧–٢٩)، ثم يكلّم النبي أورشليم ويؤكّد لها أن اليهود المشتتين والمسبيين هم في طريقهم إليها (٤:٣٠–٥:٩). يُستنتج أن الحديثين في القسم الأخير هما بمثابة استجابة الله لاعتراف باروخ وابتهاله.

رسالة ارميا التي أُضيفت على سفر باروخ وهي الفصل السادس منه تبدو كأنها بداية مرحلة السبي (با ٦: ١) التي ستطول «فإذا دخلتم بابل، فستكونون هناك سنين كثيرة وزماناً طويلاً» (با ٦: ٢)، وهذا يختلف عن المقطع السابق (٤: ٣٠–٥:٩) الذي يتحدث عن قرب العودة، مما يؤكّد ان الفصل السادس أُضيف

سمعانُ بطرس خرَّ عند رُكبتَيْ يسوعَ قائلاً أخرُجْ عنّي يا ربُّ فإنّي رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإنذهالَ اعتراهُ هو وكلَّ مَن معهُ لصيدِ السمكِ الذي أصابوهُ* وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زبدى اللذان كانا رفيقَينِ لسمعان. فقال يسوعُ لسمعانَ لا تَخَفْ فإنَّك مِنَ الآن تكونُ صائداً للناس* فلمَّا بلَغوا بالسفينتَيْنِ إلى البّرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوهُ.

تأمل

«لتظهر حياة المسيح أيضاً في أجسادنا».

من رغب في أن يحيا في المسيح وقرر ذلك عليه أن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقلب الروحي وبرأس جسد الكنيسة، بالرب. إذا رغبنا ما يرغبه المسيح فسنحقق هذا الرباط الذي هو الكل في الكل في الحياة الروحية وإذا أردنا أن يكون قلبنا ملكاً للمسيح علينا أن نروّض إرادتنا ونهيء نفوسنا لتسر بما يُسرّ له. فلا يجوز أبداً أن ننساق وراء رغبات مختلفة. الضدان لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد. الرجل الخبيث لا يخرج من قلبه غير الخبث أما الصالح فالصلاح. ان المسيحيين الأوَل كانوا يلتهبون بمثل هذه

لاحقاً إلى سفر باروخ. هذه الرسالة كُتبت من ارميا للناس المقتادين إلى بابل عام ٥٩٧ أو ٥٨٧ ق.م.، يخبرهم فيها عن آلهة بابل المصنوعة من خشب مطلي بذهب أو فضة ويطلب منهم عدم الخوف منها لأنها لا تنطق وكهنتها يسرقون ذهبها ويعطونه للزواني ويأكل الدود خشبها. يشبِّه آلهتهم بالأموات وأعمالهم كلها مخالفة للشريعة. فالنساء لا يكْهَنَّ في إسرائيل والكهنة لا يحلقون رؤوسهم. يسعى الكاتب بأسلوب التهكم الذي يستخدمه أن يهزأ بآلهة بابل ليظهر الفرق بينها وبين الإله الحقيقي وليحض اليهود كي يبقوا على إيمانهم بالله.

إن سفر باروخ الذي نقرأ مقطعاً منه في غروب عيد الميلاد (٣: ٣٦–٤:٤) هو كسائر أسفار الكتاب المقدس التي حين ندرسها دراسة نقدية لا نضع جانباً إيماننا بدور الروح القدس بل نسأل إلهامه لنفهمها بشكل أفضل علّها ترشدنا إلى الله. لذلك ارتأت الكنيسة أن تتلى مقاطع من العهدين القديم والجديد في الخِدَم الليتورجية إيماناً منها بدور الكتب المقدسة في تقديس الإنسان «لأنه لم تأتِ نبوَّةٌ قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١: ٢١).

الحسد

«ورأيتُ كلَّ التعبِ وكلَّ نجاح عمل أنَّه حسَدُ الإنسانِ من قريبه. وهذاً أيضاً باطِلٌ وسعي وراء الريحِ» (جامعة ٤:٤).

الحسد هو تلك الشهوة داخل الإنسان للحصول على كل ما يملكه الآخر، أكان مادياً أو معنوياً. انه تمنّي الخير للذات وعدم تمنّيه للآخرين. كما انه عدم الإعتراف بالخير الذي يصدر عن الغير. الحسد شر جامح داخل نفس الإنسان وغايته إلغاء الآخر والحلول مكانه والتمتع بما هو عليه أو بما يملكه. همَّ الحسود أن يلمع وحده، لذا لا يستطيع أن يرى غيره ناجحاً في الحياة، ولا يريد أن يظهر الخير إلا عن يديه. لذا فإن الحسد نار تأكل الحاسد وتُميت كل خير فيه والحسد يقود صاحبه نحو الموت الروحي ويدفعه إلى ارتكاب الحماقات والخطايا التي ترافق الوسائل التي يستعملها الحسود للوصول إلى مآربه. لذا نرى الرسول بولس يدعو سامعيه إلى الاستعداد ليوم الحساب بقوله: «فإنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا. قد تناهى الليلُ وتقاربَ النهارُ فلنخلَع أعمالَ الظلمةِ ونلبَسْ أسلِحةَ النورِ، لنسلُكَ بلياقةٍ كما في النهارِ لا بالبَطَرِ والسُّكرِ ، لا بالمضاجِعِ والعَهَرِ، لا بالخِصامِ والحَسَدِ» (رو ١٣: ١١–١٣).

الحسود لا يعرف معنى الشركة الحقيقية مع الناس بسبب طمعه وأنانيته وشراهته. كل شيء يتمحور حول نفسه. العالم يبدأ وينتهي عند حدود مصالحه المادية. لذا لا يمكن للحسود إلا أن يكون أنانياً إذ هو لا يعرف المحبَّة ولا اللطف ولا الكرم: «المحبَّةُ تتأنَّى وترفُقُ، المحبَّةُ لا تحسد، المحبَّةُ لا تتفاخَرُ ولا تنتفِخُ» (١ كور ١٣:٤). يقول كاتب سِفرِ الأمثال: «الغضبُ قساوةٌ والسَّخَطُ جُرافٌ ومَن يقِفُ قُدَّامَ الحَسَدِ؟» (٢٧:٤).

الحسود في عقله وفي تعامله يزيلك من الوجود. الحسد يعمي

الرغبات السامية المقدسة: «القلب والنفس كانا شيئاً واحداً عند جموع المؤمنين» (أع ٤: ٣٢). ان المسيحي الذي لا يفكر بما للمسيح ولا ينظّم حياته وفقاً لحياة السيد ولا يقدس قلبه سيلتصق قلبه حتماً بالأمور الدنيوية الفاسدة. وجد الله النبي داود «إنساناً حسب قلبه». لم يحد عن طريق الحق ولم ينسَ وصايا الله. «عن طريق الحق لم أمل وخطاياي لم أنسَ». أيمكن أن نعيش إذا لم نعلق قلبنا بالقلب الحي الأبدي؟ أيمكن أن نحيا حياة روحية؟ علينا أن نحب وأن نريد ما يريده ويحبه المسيح ليكون لنا مثل هذا التعلق الذي يهب الحياة والفرح بالمسيح.

الرغبة تسبق كل عمل والفكر يسبق الرغبة ولكي يكون قلبنا مليئاً بالأشواق الحارة المقدسة السامية، بعيداً عن الرغبات الشريرة، علينا أن نبعد نفوسنا مهما كلف الأمر عن كل تفكير بطال حتى لا يكون فيها أي مكان للشيطان. قد ينجذب العقل بأمور كثيرة وكذلك النفس. قد يهتم في هذه القضية أو تلك وقد تنشغل في هذا الأمر أو ذاك لكن النافع والمفيد والمفرح هو التكلّم عن الغنى الروحي والتفكر بمواهب النعمة التي نستمتع بها. مَن كنا قبل أن نعرف الحقيقة، قبل أن نعرف المسيح؟

القديس نقولا كاباسيلاس

بصيرة صاحبه ويبطل كل منطق وخير لديه، وفي هذا الإطار يصبح الحسد خطيئة إذ يصير سبباً لأذية الآخرين. نقرأ في إنجيلَيْ متى ومرقس ان بيلاطس أراد إطلاق الرب يسوع لأنه علم ان الشعب و«رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً» (مر ١٥:١٠، راجع متى ٢٧: ١٨). إذاً الحسد كان سبباً لصلب السيد. لقد أثبت الرب للشعب أن الفريسيين والمؤتمنين على الهيكل والإيمان لم يكونوا أمناء لله، وصار هو وجدان الأمة مكانهم، لذلك كان لا بد أن يموت بنظرهم فحاكوا ضده المؤامرة. من هذه الحادثة نتعلّم ان الحسد خطيئة لأنه يعتمد الخيارات المظلمة لكي يبلغ صاحبه إلى مآربه الشريرة. فاليهود بدافع حسدهم الأعمى أخطأوا وأسلموا رب المجد للصلب. لذا يدعونا الرب على لسان الرسول بولس أن نخرج من أنانيتنا ونبتعد عن الحسد الذي يستعبدنا الشريرُ بواسطته: «لا تصيِّروا الحريَّةَ فُرصةً للجسدِ بلِ بالمحبَّةِ اخدموا بعضُكم بعضاً. لأنَّ كلَّ الناموسِ في كلمةٍ واحدةٍ يُكمَلُ. تُحبُّ قريبَكَ كنفسِكَ. فإذا كنتم تنهَشونَ وتأكلونَ بعضُكم بعضاً فانظروا لئلاَّ تُفنوا بعضكم بعضاً... وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى، حسد، قتل» (غلا ٥: ١٣–١٥ و٢١).

من الحسد ينبع روح الخصام والجشع والأنانية، فنرى الكثيرين اليوم حتى داخل الكنيسة يعرقلون عمل غيرهم، فقط لأنهم لا يحتملون أن يروا الله يغدق خيراته على البشر عن غير طريقهم. كم من العائلات متخاصمة بسبب حسد الأخوة! إنسان الحسد فينا يسبِّب السخط والشقاق والتحزب والحسد والبطر والحقد والغضب «والذين يفعلون مثل هذه لا يرِثونَ ملكوتَ اللهِ» (غلا ٥:٢١). مَن يزرع الحسد يحصد الحقد والخصام، ومن يزرع الإتضاع والبساطة يحصد الفرح والمحبة.

علينا نحن المؤمنين أن نبكي لأجل الحاسد ونصلي من أجله لا أن نشمت به لئلا نقع في العزلة. المأساة الأولى هي توغل الحاسد في حقده أما المأساة الثانية ففي أن نهمله في حقده. وحدها الصلاة الحارة الصادرة من قلب محب تخلّص الحاسد من عماه والرب يفتح بصيرته ويحرسنا لكي لا نسقط نحن في هذه الخطيئة. هذا هو التحدي الكبير للمؤمن: أن يحتضن الحاسد ويصلّي من أجله دون أن يدينه، والرب ينقذه ويقوده في درب الخلاص.

وللحسود وللمؤمن نقول ما كتبه القديس مكسيموس المعترف: «زيّن فكرك بيقظة بالله، بالصلاة ومعرفة الحقائق الإلهية، بنكران تام للذات، ولا تتساهل مع نفسك. إن فعلت هذا فإن نور ذهنك لن يخبو ولن يجد الحسد إلى قلبك سبيلاً، وإذا كنت جاداً في غرس الأفكار الصالحة فلن تدنو منك الأعداء غير المنظورة».

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يُعلن مكتب التربية المسيحية في أبرشية بيروت عن استمرار التسجيل في مدرسة التنشئة اللاهوتية للعام الدراسي ٢٠٠٨–٢٠٠٩ وذلك بالإتصال على الرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb